نقد وتحليل لبعض أفكار ونظريات عالم الاجتماع الإيطالي

فلفريدو باريتو
1848 – 1923 م

عمل: رنده المليفي

ولد فلفريدو باريتو في باريس بفرنسا عام 1848م عن اب ايطالي وأم فرنسية وتوفي عام 1923م وخلال فترة ولادته فر والدة من ايطاليا لأنه كان يعتنق الآراء الجمهورية (السيد عبد العاطي ، 1997م : 290) ونجد ان باريتو تلقى دراسته في ايطاليا ثم التحق بمعهد الهندسة لكي يعمل مثل والدة في الهندسة المدنية واهتم خلال هذه الفترة بدراسة الرياضيات تلك الدراسة التي كان لها في المستقبل أثرها الواضح في نسقة الفكري وفي عام 1870م أتم رسالته بعنوان - المبادئ الرئيسية في توازن الأجسام الصلبة (محمد على : 232) – ونجد في هذه الرسالة البذور الأولى لاهتمامة بتحليل التوازن في مجالي الاقتصاد وعلم الاجتماع كما انه كان رجل اعمال ناجح وله نظريات هامة في إدارة المشروعات الصناعية (السيد عبد العاطي ، مرجع سابق : 290).

ورغم ان باريتو كان من الطبقة الارستقراطية إلا انه احتقر هذه الطبقة ونادى بمبادئ الديمقراطية والجمهورية وطالب بحرية التجارة ونزع السلاح ، كما احتج على استغلال الطبقة الارستقراطية للطبقات الفقيرة ، (نفس المرجع : 291) وفي خلال سنوات حياته العملية استطاع باريتو ان يكون علاقات متعددة مع رجال الاقتصاد والسياسة وانضم إلى جمعية آدم سميث وفي هذه الجمعية اتصل بأفكار الاقتصاديين الليبراليين مثل جوهانز ومارتيلو وبنتاليونيى الذي اصبح صديقاً حميماً له وهو الذي وجه اهتمام باريتو نحو نموذج التوازن الرياضي في الاقتصاد .(محمد على ، مرجع سابق : 232-233)

وفي سنوات حياته الأخيرة حظي باهتمام بالغ حينما تولى موسليني سلطة الحكم في ايطاليا إذ اعتبر نفسه تلميذا مخلصا لباريتو بل لقد اعتبر أفكار باريتو أساس الأيدلوجية الفاشية وكتب موسليني يصف نظرية باريتو عن الصفوة يقول ان هذه النظرية تمثل ذروة مفاهيم علم الاجتماع في هذا العصر وقد توفي باريتو عام 1923م بعد حياة حافلة بالأحداث العلمية والاجتماعية والسياسية .

نجد ان أفكار باريتو تنطلق من مسلمتين رئيسيتين وهي كالتالي /

<u>المسلمة الأولى:</u> هي ان علم الاجتماع هو العلم الذي يسعى إلى تحليل شروط توازن الأنساق الاجتماعية تحليلا علمياً .

ركز باريتو على هذه النقطة بالذات باعتبارها نقطة الانطلاق لكافة أعمالة ولذلك نستطيع القول بأنه تضمن افتراضاً بنائياً وظيفياً حول التفاعل والتساند بين مكونات النسق الاجتماعي

ثم هو يفترض بوضوح وجود تفاعل مستمر بين مجموعة كبيرة من العناصر ويرفض التفسير التطوري الأحادي لكل المجتمعات وهو مايمثل توسعا في مقولة تحليل التوازن واللاتوازن في التغير الاجتماعي فضلا عن إضافة البعد الاقتصادي لها ومن الافتراضات التي ركز عليها باريتو هي ان العوامل النفسية المتجذرة في التركيب الحيوي البيولوجي هي الأهم في تفسير الواقع الاجتماعي وتغيره ، وان الفعل الإنساني يرتبط في غالبة بالتركيب النفسي والحيوي للفاعل ،وان المجتمع يعد حقيقة موضوعية تمكننا من بناء مقاييس كمية تربط حقيقة الواقع بالمعرفة .

<u>المسلمة الثانية:</u> هي العقل والفعل في المجتمع أي ضرورة التفرقة بين العقل المنطقي وغير المنطقي

لقد كان التصور الشائع لدى معظم العلماء ان الإنسان كائن عقلاني ولكن باريتو خالف هذا التوجه بالقول ان معظم الأفعال الإنسانية لاعقلانية وقد صنف الأفعال إلى أفعال عقلانية منطقية وأخرى وهي الأغلب أفعال لاعقلانية ، والفعل العقلاني هو الفعل الذي يرتبط منطقياً بغاية معينة ليس فقط من وجهة نظر الفاعل وإنما من وجهة نظر الآخرين أي ترتبط فيه الوسيلة بالغاية وبهذا فهو سلوك تتضمن العقلانية فيه الجانبين الذاتي ،والموضوعي والأفعال العقلانية غالباً ترتبط بالمعرفة العلمية الناتجة عن المنهج المنطقي التجريبي والفعل العقلاني كما يراه باريتو عمل المهندس،والمحامي ،اما بالنسبة للفعل اللاعقلاني فهو يعد اشكالية بحثية فكيف يمكن دراسته بطريقة منطقية .

*** ومن وجهة نظري نجد اولا ان المعرفة العلمية تقوم على الاسلوب الاستقرائي الذي يعتمد على الملاحظة المنظمة للظواهر وفرض الفروض واجراء التجارب وجمع البيانات وتحليلها للتثبت من صحة الفروض او عدم صحتهما وايضا الكشف عن القوانين والنظريات العامة التي تمكن مما يحدث من التنبوء للظواهر المختلفة .**

- **ليس من الضروري ان يرتبط الفعل المنطقي بالمعرفة العلمية لان هناك عددا من الافعال المنطقية والتي توصل لها عدد من الفلاسفة والعلماء قبل التوصل الى المعرفة العلمية , والتي لاتشترط وجود المنهج التجريبي .**
- **عند ربط الفعل المنطقي بالمعرفة العلمية فأن ذلك يعد انكار للأفعال المنطقية التي قام بها اجدادنا واباءونا لانهم وهم لم يتعلموا ولم يكتسبوا المعارف العلمية .**

علم الاجتماع :

يعرف باريتو علم الاجتماع بأنه دراسة المجتمع الإنساني بعامة فقد صرح أنة يستهدف صياغة نظرية عامة عن المجتمع بناء على منطق علمي والسلوك العلمي هو السلوك المنطقي التجريبي أي السلوك العقلي الرشيد الذي يتجسد في تصرفات الإنسان الاقتصادي والذي يعتمد على الملاحظة ، والخبرة ، والاستدلال المنطقي .

ووجد باريتو ان هذه المعايير لاتنطبق على السلوك الإنساني ولذا يطالب باريتو ان يكتسب علم الاجتماع تلك الخصائص ومن هنا يتعذر وجود أفكار مسبقة في علم الاجتماع العلمي عند باريتو وان القضايا النظرية في علم الاجتماع ليست مطلقة بل هي قضايا نسبية خاضعة للتغير والتعديل ، وعلى هذا الأساس يفند باريتو كل قضايا علم الاجتماع الشائعة في عصره لأنها لاتخضع لشروط المنهج المنطقي التجريبي ويرى أيضا ان علم الاجتماع عند كونت وسبنسر غير علمي لأنه يضرب بجذوره في اللاهوتية وارتكزت على مفاهيم يصعب إخضاعها للمعالجة العلمية المنطقية مثل ديانة التضامن أو التطور أو الدين الوضعي.

وعند مقارتنا بين باريتو و دور كايم نجد ان باريتو دائما يبدأ من الظواهر الاجتماعية المركبة و دوركايم يركز على الظواهر الجمعية ويسعى إلى تحليلها وكلاهما يشبه الآخر في هذه النقطة ومن أوجه الشبه أيضا ان كلاهما يهتم بتحليل توازن الأنساق الاجتماعية لكن الفرق بينهما هو ان دور كايم ظل متمسكا بهذا المستوى ورفض أي نوع من التحليل السيكولوجي اما باريتو فقد حلل هذه المركبات الاجتماعية إلى عناصرها النفسية كالرواسب والمشتقات والعواطف . (محمد على ، مرجع سابق :240 -246)

*** اما بالنسبة لوجهة نظري فهي مايلي :**

يرى ان علم الاجتماع لا يعتمد على السلوك العلمي والمنطقي كما هو في علم الاقتصاد ، ولن نجد أن علم الاجتماع لم يطلق علية علما الا انه يعتمد على معايير المعرفة العلمية وقواعد المنهج العلمي والتي تتضمن على الملاحظة والتجربة والاستدلالات المنطقية والاستقراء العلمي والتعميمات والقوانين والتنبوء العلمي .

أؤيد بأن القضايا النظرية في علم الاجتماع هي نسبية وليست مطلقة لانها خاضعة للتغيير والتبديل وان ذلك ليس في عصر باريتو فقط بل ايضا في زمن لان القضايا الاجتماعية متصلة بالمجتمع وافراد المجتمع لان ذلك متصل بالنفس البشرية ومن طبيعة النفس البشرية انها متغيرة بحسب الظروف الاجتماعية المؤثرة علية . بالغ باريتو في في نقده لكلا العالمين كونت وسبنسر عندما وصف علم الاجتماع لديهما بأنه غير علمي مستندا على انه (يضرب بجذوره باللاهوتية واستعانتهم بمفاهيم يصعب معالجتها بطريقة علمية) ، ولكن اجد ان كونت حاول توضيح مراحل قانون التفكير الانساني بانها اولا تمر في المرحلة اللاهوتية ثم الميتافزيقية انتهاء بالوضعية على الرغم من منطقية التصنيف والتي من الغالب لايمكن التوصل الى الفكير العلمي او المنطقي

والذي يطالب به باريتوا الا عن طريق المرور بهذه المراحل البدائية والتي من المنطقي ان يمر بها أي عقل لشخص عادي وغير متعلم واحيانا المتعلم في عملية التفكير حتى يستطيع التوصل الى التفكير الوضعي والعلمي والذي يتم بلورته عن طريق التعليم ، ايضا نجد ان باريتو انتقد سبنسر في نظرته لعملية تطور المجتمعات والتي أجد ان فكرة سبنسر في عملية تطور المجتمعات تتضح على ارض الواقع من حيث ظهور المجتمعات بشكل بدائي وبسيط من خلال مجتمعات الصيد والالتقاط ثم المجتمعات الرعوية وصولا الى المجتمعات المتحضرة والمتطورة او بمعنى أصح تنتقل المجمتعات من الشكل البسيط أي الريفي او المجتمع البدوي الى مجتمعات متحضرة كحال الكائن الانساني الذي يتطور من طفل وشاب الى شيخ ، ومن هنا

استنتج على نمط تفكير العالم باريتو بأنه يرفض الفكر البدائي الذي ينتهي بالتطور ، ومن هنا اجد ان باريتو اغفل المنهجية العلمية التي تتضح لدي كونت وسبنسر عندما وصف علم الاجتماع لديهم على انه غير علمي حيث نجد العالم كونت انتهج اللاحظة والتجربة والمقارنة والمنهج التاريخي وآلية الحل المستخدمة لدية هي ان لكل علة سبب والاخذ بالتفكير الوضعي ، في حين انتهج سبنسر المنهج المقارن والمنهج التاريخي وآلية الحل لدية هي تقدم المجتمعات من خلال عملية الارتقاء الاجتماعي .

الرواسب والمشتقات :

نجد ان نظرية الرواسب والمشتقات عند باريتو تقسم إلى عدة فئات ، وقبل ان نتحدث عن هذه الفئات لابد ان نعرف أولا ماهي الرواسب/هي تعبيرات عن العواطف والمشاعر لذا يمكن القول ان الرواسب تمثل ميولا نفسية ثابتة ترتبط بالعواطف والغرائز وتتوسط العلاقة بين العواطف والفعل وتعد الرواسب من حيث توزعها بين أفراد المجتمع من العوامل التي تعزز حالة التكامل والتوازن في النسق الاجتماعي فكل إنسان يولد بقدرات وميول تتفق مع متطلبات ادوار في البناء الاجتماعي ويترتب على توزيع الرواسب بين أفراد المجتمع تغطية الأدوار المختلفة بشكل تكاملي .

ومن هنا نجد ان باريتو حدد تصنيف الرواسب إلى عدة فئات وهي :-

1 - رواسب الربط والتوليف : وتشير إلى الميل والقدرة على إقامة علاقات منطقية بين الأشياء والأفكار ويتضمن معناها ملكية الذكاء والقدرة على الإبداع وبهذا يرتبط وجودها بتشكل الحضارات .

2 - رواسب المحافظة على التجمعات والارتباطات : وتعبر عن الميل إلى المحافظة على ماتم تشكيلة من بناءات ونظم وتجمعات ، وبهذا يرتبط موقف من يملكونها بالمحافظة على الوضع القائم وعلى حالات الاستقرار والتوازن في النسق الاجتماعي .

3- رواسب الحاجة عن التعبير عن المشاعر بأفعال سواء على المستوى الفردي في حالة التعبير عن المشاعر الذاتية أو على المستوى الجماعي من خلال الشعائر والطقوس وتعد هذه الحالة من عوامل التماثل الثقافي الذي يشكل قاعدة مشتركة تعزز تماسك الجماعة وحالة التوازن في النسق .

4- رواسب النزعة للاجتماع : وترتبط هذه الميول والمشاعر بتشكيل الجماعات وتعد من أسس انتماء الفرد للجماعة فهي تعبر عن ميل الفرد إلى تمثل أنماط الفعل والفكر والشعور والمظهر لدى الجماعة وبهذا تعزز استقرار النظام .

5- رواسب التكامل الذاتي والشخصي :وترتبط بالميل إلى المحافظة على الذات وكل مايرتبط بها من مكانة وسمعة واعتبار وفي الوقت نفسه مقاومة كل مايمكن ان يهدد الهوية الذاتية .

6- رواسب الجنس : ويهم علم الاجتماع منها مايرتبط بالسلوك الجنسي من معايير وقيم وأخلاقيات أي القواعد الثقافية والخلقية التي ترتبط بالنشاطات الجنسية . (ابراهيم عثمان ، 2010م : 113)

وبرأيي اجد انه من المناسب في عملية تصنيف باريتو للرواسب تطبيقها في الواقع وذلك لانها تتفق مع طبيعة البشرية من حيث ان عدد من افراد المجتمع يولدون باامكانيات فطرية تؤهلهم لان يحتلوا أدوار ومكانات مناسبة لهم في المجتمع تمكنهم من احراز عملية التقدم والابداع والتطوير فضلا لما يمكن ان يساهم في استقرار وتوازن البناء الاجتماعي , وذلك من خلال وجود راسب الربط والتوليف من حيث وجود عدد من الافراد يمكنهم القيام باالاختراعات والابتكارات والذي من شأنه يسهم في تقدم المجتمع وتشكيل الحضارات واللحاق بركب التطور بالمجتمعات المتقدمة , وايضا وجود راسب المحافظة على التجمعات والارتباطات وذلك عندما يمتكلة الافراد فأنه يؤدي الى الحفاظ على المجتمعات من الزوال والاندثار , وايضا راسب الحاجة عن التعبير عن المشاعر والتي تتمثل في قيام الافراد في اداء العبادة و الشعائر الدينية والذي من شأنه يشعر الافراد بانهم وحدة واحدة نتيجة لاشتراكهم في كثير من المظاهر الدينية والروحية والذي يعزز من تماسكهم وايضا لما يمثلة من مظاهر الثقافة المشتركة , وايضا من خلال رواسب التكامل الذاتي والشخصي والتي تؤدي بالفرد الى ضبط انفعالاته وسلوكياته نظرا لانها تتعلق بمكانه الفرد وسمعته والتي من شأنها توطد علاقة الفرد مع الاخرين مما يسهم في تماسك البناء الاجتماعي ، واخيرا مايتصل برواسب الجنس والتي تهذب من سلوكيات الافراد في عملية التعامل مع العلاقة الجنسية استنادا على معايير والقيم الثقافية للمجتمع والتي تتخلف عن القيم الثقافية للمجتمعات الغربية والتي تبيح العلاقة الجنسية خارج الزواج من منطلق حرية الافراد الخاصة والتي تختلف عن معايير المجتمعات العربية المحافظة التي تشرع ممارسة هذه العلاقة الفطرية بين الزوجين فقط وهذه المعايير المتفق عليها بين ابناء الشعب الواحد تساهم في تماسك ابناء المجتمع الواحد الذي يعزز تماسك البناء الاجتماعي .

<u>نستنتج مما سبق ان معظم السلوك الإنساني يتصف باللاعقلانية على حد اعتقاد باريتو وذلك لأنه ربطة بالعواطف والمشاعر</u> .والواقع ان العرض السابق للرواسب عند باريتو يثير على الفور تساؤل هام الا وهو لماذا انتهج باريتو تصنيف الرواسب كل هذه الأهمية ؟

الرواسب بديلا لنظرية شاملة في الطبيعة البشرية وهي نظرية تكشف عن نفسها في الحياة الاجتماعية * وبحسب وجهة نظري اجد انه عندما ذكر باريتوا بأن معظم افعال الانسان هي افعال غير منطقية نتيجة ارتباطها بالعواطف والمشاعر أي (الرواسب) , فأنه يمكن الرد عليه بأن الابحاث والدراسات تثبت على ان المشاعر والعواطف مركزها في الدماغ متصلة بسيالات ومراكز عصبية خاصة في الدماغ ومن هنا كيف يمكن ان تصبح افعال الانسان افعالا غير منطقة وهي افعالا ناتجة من عملية التفكير ومن عمليات عقلية في الدماغ والدليل على ذلك الراسب الذي ذكره هو بنفسه وهو راسب الربط والتوليف والذي يعتمد على المنطقية والافكار والذكاء وهي أشياء تعتمد في وجودها على وجود العقل!!

ومن خلال ذلك يتلخص تصنيف باريتو للمشتقات في الفئات التالية :-

1-الفئة الأولى أبسط المشتقات التي تتمثل في الأوامر والتأكيدات البسيطة التي تصدر من الآباء نحو أبنائهم.

2-الفئة الثانية تشير إلى الأوامر الصادرة عن أشخاص لهم سلطة معينة

3-الفئة الثالثة من المشتقات تشمل العواطف والمصالح والمثاليات والقوى فوق الطبيعية

4-الفئة الرابعة والأخيرة فهي تتضمن ((الأدلة اللفظية)) فنحن على سبيل المثال نصف نظاماً بعينه بأنه ديمقراطي لأنه يحقق مصالح الجماهير ، هذه عبارة غامضة غير محددة ، من وجهة نظر باريتو وهي من الأدلة اللفظية الزائفة التي يلجأ إليها كثير من رجال السياسة ، فلابد بداية من تحديد ماذا نقصد من مصطلح الديمقراطية ، وماذا تعني مصالح الجماهير ، وكيف تحقق الديمقراطية مثل هذه المصالح .

وان غاية مافي الأمر ان بعض الناس يمارسون تأثيراً سيكولوجياً على الآخرين وهذا بدوره ماهو إلا ضرب من السلوك غير المنطقي .

*** وبحسب رأيي اجد انه ليس من المفضل ان يصف باريتو تصرفات بعض الافراد من حيث التأثير السيكولوجي على الاخرين بأنه سلوكا غير منطقي لأن ذلك قد يعتبر إهمالا لمفهوم القيادة الكارزمية والذي يحفل المجتمع بعدد من القيادات الكارزمية العظيمة التي كان لها الاثر الفعال في تغير المجتمعات نحو الافضل او بمعنى اوضح كان لها دور في تقدم المجتمعات وتطورها بشكل ايجابي والذي يعد هدف أي مجتمع في العالم .**

مفهوم الصفوة لدى العالم باريتو

كان كارل ماركس قدصنف المجتمع الى طبقتين اساسيتين على اساس الملكية اما باريتو فقد صنف المجتمع الى مجموعتين بناء على ملكية الرواسب ، فالمجتمع يتكون من اغلبية من العامة مقابل نخبوية تشكل الصفوة واذا كان ماركس قد أكد على الدور التاريخي المهم للطبقة العمالية في التغيير ، فأن نظريات الصفوة عامة تلغي الدور التاريخي للجماهير وتحصره في أفعال أعضاء الصفوة ونشاطاتهم وبهذا يفسر التاريخ الإنساني بكل أوجه مضامينه بدور النخب في المجتمع وخاصة من يملك منها القوة التي جعلها باريتو في النخب الحاكمة . (ابراهيم عثمان ، مرجع سابق : 114)

*** وبحسب وجهة نظري أرى ان هناك عددا من القيادات السياسية او بحسب تعبير باريتو النخب الحاكمة لها دورا في المجتمعات ، وعلى سبيل المثال / كما هو يحدث في الوقت الحالي لما نشهده من بعد حدوث الثورات التي بدأت تظهر في عدد من المجتمعات العربية ومحاولة عدد من القادة القيام بادوار ايجابية - دور النخب الحاكمة التي تؤكد عليه نظرية الصفوة – تتضمن في عدد من الاصلاحات السياسية والاقتصادية و المتمثلة في التغييرات الوزارية**

ومحاولة ازالة رموز الفساد وتكليفات بتحسين مستوى حياة الافراد ورفع معدلات الاجور وتوفير الوظائف ...الخ من الاصلاحات ومايقومون به من محاولات لاقناع الشعب بالتراجع عن المظاهرات والثورات وضرورة الخضوع لسيادتها لان في ذلك تحقيقا لمصالح الجماهير من جهة اخرى .

اما العريف الضيق للصفوة / فيشمل القلة القليلة الحاكمة في كل المجتمعات الانسانية وهذه الاقلية تستحوذ على اكبر قدر من القوة والهيبة من جهة وتتميز بقدرتها الفائقة على اقناع الجماهير بضرورة الخضوع لسيادتها لان في ذلك تحقيقا لمصالح الجماهير من جهة اخرى .(محمد على ، مرجع سابق : 268-269)

نظرية الصفوة لدى العالم باريتو

أ / التمايز الاجتماعي :

ينطلق باريتو في تحليلة للصفوة من حقيقة واقعية وهي ان الافراد ليسوا سواسية فيما يتصل بالقدرات الذهنية والروحية والجسدية وان المجتمع ليس متجانسا حيث انه يتكون من جماعات متباينة تختلط مع بعضها البعض ، وفي أي تجمع نجد ان بعض الناس لديهم قدرات اكثر من البعض الاخر سواء كان ذلك في لعب الشطرنج او السرقة او الدفاع عن اللصوص في المحاكم او في ميدان كتابة الشعر او حكم البلاد وهؤلاء هم طبقة الصفوة أي النخبة المنتقاة في تجمع معين وبناء على ذلك يقسم المجتمع كما يرى باريتو الى الطبقة الدنيا والطبقة العليا .

ب / اسلوب الحكم :

يرى باريتو ان اشكال الحكومة لاتتم المقارنة بينها عن طريق الرجوع الى الدساتير ولكن بالرجوع الى اسلوب الحكم من الناحية العملية ، والاصل ان تكون حكومات تحكم باستخدام القوة او العنف او حكومات تحرص على استمالة رضا المحكومين :

1- **استخدام الاغراء : اشار باريتو ان اهم مصادر السلوك الانساني هي العاطفة او مايعرف بالراسابات والمصالح وكلاهما تكمن اهميته لدى مخطط باريتو النظري حيث يرى باريتو ان الصفوة الحاكمة تلجأ الى اساليب الدعاية لمخاطبة الجماهير (الراسابات) .**

2- **استخدام العنف : ويستخدم العنف للحد من جموح العاطفة عند الناس مثل قمع المظاهرات بالاسلحة النارية والاعتقال ، والصفوة الحاكمة لاتستخدم العنف الا بحد معين الى جانب ذلك تستخدم العاطفة الجماهيرية كأداة لتحقيق سياسة الحكم ويمثل باريتو على ذلك فيمالجأت اليه الدول المستعمرة من استغلال مشاعر الشعوب استعمرتها واعادتها في السيطرة على عاطفتها وتوجيهها .(السيد عبدالعاطي ، مرجع سابق : 297-299)**

*** وبحسب رأيي أجد ان هناك مايؤكد على مقولة باريتو في استخدام الصفوة الحاكمة للعنف ولعل ذلك مايتضح لنا عند قيام افراد في الدول العربية بعدد من المظاهرات المطالبة باسقاط الانظمة السياسية والتي تم مواجهتها باعتقال المتظاهرين واستخدام القنابل المسيلة للدموع الى جانب استخدام الرصاص الحي لهدف تفريق المتظاهرين**

دورة الصفوة او دورة النخب الحاكمة :

وبحسب رأي باريتو نستطيع التوصل الى الحقيقة التاريخية الهامة في هذه الصورة وهي حياة وفناء الاقليات الحاكمة (محمد على ، مرجع سابق : 269) وبعبارة أخرى استخدمها باريتو بنفسه ((ان التاريخ هو مقبرة الارستقراطيات)) ذلك ان تاريخ المجتمع هو تاريخ تتابع الاقليات ذوي الامتيازات التي تظهر فتتصارع بحثاً عن مزيد من القوة الى ان تمارس هذه القوة بالفعل ، ثم لاتلبث ان تزول لتحل محلها اقلية اخرى وهكذا.

استناداً لذلك يظهر لنا تساؤل هام وهو لماذا لا تستطيع الارستقراطيات أو الاقليات الحاكمة أن تحقق قدراً كبيراً من الاستقرار ؟

هناك ثلاثة أسباب يحددها باريتو تكون هي المسئولة عن فناء تلك الاقليات أو الارستقراطيات:

أولاً : معظم الارستقراطيات هي في الاصل ارستقراطيات عسكرية ، تجد نفسها مضطرة للدخول في العديد من المعارك الحربية ، ومن ثم يضحي كثير من أعضائها بأنفسهم في ساحة المعارك .

<u>ثانياً : تفقد الارستقراطية بعد عدة أجيال حيويتها وقدرتها على ممارسة القوة والعنف ، حيث أن باريتو يعتقد أن حكم الجماهير كما أسلفنا سابقاً يتعذر بدون استخدام قدر من العنف والقهر.</u>

*** وبحسب رأيي انه لم تثبت فكرة باريتو تلك لان هناك عددا من حكام الدول العربية التي حدثت بها الثورات استخدم العنف لمحاولة قمع المظاهرات الا انه مطالب بالرحيل عن السلطة ان لم يكن بالفعل قد رحل عن الحكم .**

<u>ثالثاً : هناك عامل هام من عوامل عدم الاستقرار الاجتماعي وهو أن الاجيال التي تتابع في الصفوة لا تحتفظ بخصائصها الاجتماعية الممتازة التي جعلتها تصعد السلم الاجتماعي وبذلك تضم الصفوات أفراداً لا يستحقون المكانة التي يحتلونها.</u>(محمد على، مرجع سابق : 271)

*** من وجهة نظري تتأكد فكرة باريتو على ان النخب الحاكمة لاتحتفظ بالخصائص الاجتماعية التي أهلتها لاحتلال مكانتها بما يحدث في الوقت الحالي في الدول العربية التي تشهد المظاهرات المطالبة بتغيير الحكام واسقاط النظام على ان هذه النخب الحاكمة فقدت خصائصها الاجتماعية التي أهلتها للحكم واصبحت مطالبة بالرحيل عن الحكم.**

الانتقادات الموجهة للعالم باريتو

1- الجوانب السيكولوجية للمجتمع :

قدم باريتو تصورا للمجتمع بمنح العوامل النفسية دورا بارزا وجعل من القوى النفسية اساسا للتوازن الاجتماعي وعاملا من عوامل التغير الدوري وتتعاون القوى السيكولوجية في تأسيس وتشكيل انظمة المجتمع المختلفة وجدير بالذكر ان باريتو لم يجعل محور اهتمامة في البحث عن العلاقة بين الذات والمجتمع كما فعل غيرة من اصحاب الاتجاة السيكولوجية

2- قصور التحليل على مستوى التوازن والبناء الاجتماعي :

لم يكن تحليل باريتو لتوازن المجتمع تحليلا كاملا ، اذ لم يستطع ان يقدم صورة لبناء الانظمة الاجتماعية وطريقة عملها ، ولم يهتم بالتنظيمات الاجتماعية البنائية على الرغم من ان تصنيفة للصفوات كان تصنيفا يستحق الاهتمام بل كان منطلقا لتطور دراسات الصفوة والطبقات

3- قصور التفرقة بين الافعال المنطقية وغير المنطقية :

نجد ان بعض من افعالنا وانماط سلوكنا تتسم بانعدام المنطق فيها خاصة اذا كان منبعها العاطفة ومصدرها الغرائز لكن ذلك لايعني ان العاطفة دائما غير منطقية ، فلقد كشف مفكرو القرن 19م عن العاطفة هي جماع طائفة كبيرة من المشاعر والافكار والاحكام والقيم والمعايير وهي مصدر الابداع والخيال ، وايضا كانت المعرفة واسلوب حياة الانسان في العديد من المجتمعات التقليدية اضافة الى انها اساس تطوير الاعراف والقوانين والاخلاقيات العامة غير ان باريتو صور لنا العواطف على انها غير(محمد على ، مرجع سابق : 275-277) منطقية تماما ولم يدخل في مقولة المنطق عنده سوى المعرفة الحسية القائمة على البرهان التجريبي .

وأخيرا نجد خلاصة البحث هو ان باريتو يعد من اوائل العلماء الذين تحدثوا عن العلاقة بين النخب الحاكمة والجماهير من خلال محاولته لصياغة نظرية مفسرة للعلاقات القائمة بينهما وان النخب الحاكمة تحتل هذه المكانات بناء على الرواسب النفسية لديها وان من اسباب تنحيهم عن السلطات فيما اطلق علية بدورة الصفوة هو تراجع الخصائص الحيوية التي كانت من اسباب توليهم للحكم ونتيجة للعلاقات التنافسية من قبل القوى الاخرى وتفوق هذه القوى المنافسة ، وهنا نجد ان اهم المفاهيم المستخدمة لدية هي الصفوة والنخب الحاكمة وآليات الحل لدية او المجال في تغير المجتمعات لديه هو عن طريق النخب الحاكمة وبالتالي نجد ان نظريته تلك فتحت المجال لعدد من الدراسات التي تطرقت للعلاقة بين الصفوة والجماهير , ونستنتج ان باريتو قد سلك اتجاها بنائيا وظيفيا يتمثل لنا من خلال ما افترضه بشكل بنائي وظيفي حول التساند والتفاعل بين مكونات النسق الاجتماعي ، وايضا واهتمامه بالنظرية

البيولوجية والتي اتضحت من خلال افتراضاته التي يرى فيها بأن العوامل النفسية متجذرة في التركيب الحيوي البيولوجي وهي الاهم في تفسير الواقع الاجتماعي , ويفترض بأن سلوك الإنسان بصفة عامة هو سلوك غير منطقي وذلك الفرض الذي صاغه باريتو جعل من علم الاجتماع عنده محاولة منهجية للتدليل على صحته , والمنهجية التي اعتمد عليهاهو استخدامة للمنهج الاستقرائي عن طريق الملاحظة .

قائمة المراجع

- **بيومي , محمد ، دورة الصفوة في اتخاذ القرار السياسي، دار الكتاب الحديث ، عام 2004 م.**
- **عبد العاطي وآخرون , السيد ، تاريخ الفكر الاجتماعي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1997 م .**
- **عثمان وآخرون , ابراهيم ، نظريات في علم الاجتماع ، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات ، القاهرة ، 2010 م .**
- **محمد , على محمد، تاريخ الفكر الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية .**